

دور معاهد بي.يس. عبد الرحمن العلمية في تطوير اللغة العربية وآدابها

- د/عبد الصمد الندوي

أستاذ مساعد، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة بي.يس. عبد الرحمن، وندلور، تشنائ، الهند

التمهيد

مما لا شك فيه أن اللغة العربية لغة فذة عجيبة وذرة فريدة من نوعها، من حيث مقوماتها ومكوناتها، ومن حيث مبادئها وأسسها، ومن حيث مميزاتها، فلذلك اختارها الله كأداة للقرآن والسنة، وهي لغة فكر وثقافة وعبادة، كما أنها وعاء للمصادر الإسلامية، وقناة للتراث الإسلامي الوحيد، فانفجرت منها عيون العلم والفن، من علوم القرآن والحديث إلى التاريخ والسير، ومن الفقه والاجتهاد، ومن الرياضيات والفلسفة إلى المنطق والنجوم، وبالإضافة إلى ذلك أنها لغة لأكثر من ألف مليون نسمة في أكثر من عشرين دولة، كما هي إحدى اللغات العالمية المتدفقة بالحياة والنشاط وأعرقها منذ قديم من الزمن.

أهمية اللغة العربية

ومن المعروف لدى الجميع أن اللغة العربية لها مكانة مرموقة وأهمية بالغة لدى الشعوب والجماعات، أيا كان نوعها، وأيا كان موطنها في العالم بسبب أنها لغة القرآن ولغة الأحاديث النبوية، ولغة المناسك والعبادات. فهي مرآة صافية للأقوام ثقافة، وترجمان واضح للأمم والممل اقتصادا واجتماعا، وتقدما وتخلقا في المجالات المختلفة، كما أن لها دور بارز في التعبير عما يخطر ببالها من الهواجس والأفكار، ومن الأغراض الحيوية والحوائج اليومية. وفي طي اللغات العالمية لم تنل إحدى منها ما تلقته العربية من قبول عام، ورواج شهير. فلذلك اهتم المسلمون اهتماما بالغا إلى تعليم اللغة ذات الأهمية البالغة، حتى تفوقوا في تعليمها وترويجها، وأقاموا المعاهد والجامعات والمدارس في أكثر مدن الهند وقراها.

تطور اللغة العربية في الهند

عندما نسعى الاستعراض عن تطور العربية في الهند نجد أنه قد اعتنى بها الهنود في أول الأمر وحافظوا عليها كلفة العلم والدين والحضارة، حتى خرجت جماعة كبيرة من العلماء والأدباء، ونبغوا في جميع المجالات، وخلفوا وراءهم دررا منثورة، كما يقول محمد إسماعيل الندوي بعد ذكر بعض الملامح للعلاقات الهندية والعربية " ... وعلى أيدي هؤلاء الأعلام من تجار العرب والمسلمين انفجرت ينباع العلوم والفنون العربية في الهند، حتى ظهر عشرات من الفقهاء والأدباء، ونفدوا حياتهم في ترويج اللغة العربية في الهند" (١).

دور المدارس الدينية والإسلامية في تامل نادو في تطوير اللغة العربية

إن تامل نادو هي ولاية من ولايات الهند بجنوب الهند قرب كيرالا وكرناتكا وأندرا براديش. يبلغ عدد السكان المسلمين ٧.٤% تقريبا. ومن المعلوم أن تاريخ المدارس العربية في هذه الولاية قديم كقدم تاريخ وصول الإسلام إليها. وهناك صلة وثيقة بين مجيئ المسلمين إلى هذه البقعة والمدارس الإسلامية فيها، لأنه كانت من

١. مجلة الآداب العربية ٢٠١١م، الجامعة المليية الإسلامية، نيودهي (عدد خاص) عن "تطور اللغة العربية في الهند، ص: ١٣٥.

عادة الفاتحين المسلمين أن يبنوا مساجد، ويؤسسوا مدارس حيثما وردوا ووصلوا. وكانت المساجد آنذاك مدارس وجامعات إسلامية في أول الأمر لأنه تصدر منها الأوامر الإسلامية، وترسل منها الوفود والجيوش، وعلاوة على ذلك كان تأسيس المدارس والتكايا والسرايا والخانقاهات أيضا قد تمّ في العواصم والمدن الكبرى.

وبعد استقلال الهند أحس المسلمون بالحاجة إلى تأسيس المدارس للحفاظ على الهوية الإسلامية والدفاع عن العقيدة عندما اتخذ المنهج الدراسي العلماني على مستوى الهند. فلما رأى العلماء تأثير المنهج العلماني في قلوب المسلمين أسرعوا إلى إقامة مدارس وكتاتيب في طول الهند وعرضها وولاية تامل نادولم تتخلف عن الولايات الأخرى في هذا المضمار وهي من إحدى الولايات التي تكثر فيها المدارس الإسلامية. ومن هذه المدارس الإسلامية مدرسة الباقيات الصالحات التي أسسها الشيخ عبد الوهاب سنة ١٣٠١هـ فهذه الكلية تعرف بأهم المدارس في ولاية تامل نادوبل في جنوب الهند كلها. ثم تابعت المدارس العربية واحدا بعد واحد.

نظرة عابرة على معاهد بي.يس. عبد الرحمن العلمية

ومن هذه المدارس والمعاهد العلمية معاهد بي.يس. عبد الرحمن العلمية التي أسسها التاجر الشهير، بي.يس. عبد الرحمن، وقد أسس المدارس والجامعات والمعاهد والمستشفيات ومساكن اليتامى، وقد مهد طريق التعلم والتعليم، فلعب دورا هاما لا يكاد يُنسى على مرّ الزمن في مجال التعليم - تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية والعصرية-، وقد خدم الملة الإسلامية البيضاء في مجال التربية ونشر الوعي الإسلامي خدمة جليلة لا تزال تذكر لدى المسلمين. ولتذكرهنا من أهم ما أسّس من معاهد علمية وتربوية:

Crescent Residential School, Chennai	مدرسة الهلال تشنائي ١٩٦٨
Crescent Matriculation Higher Secondary School for Girls	مدرسة الهلال للبنات ١٩٧٦
Crescent Engineering College	كلية الهلال الهندسة ١٩٨٤
Thasim Beevi Abdul Kader Women's College Kilakari	كلية تاسم بي وي للبنات ١٩٨٨
Crescent School for Girls Nagore	مدرسة الهلال للبنات في ناكور ١٩٩١
Crescent School for Girls Madurai	مدرسة الهلال للبنات في مادوراي ١٩٩٤
Kilakarai Bukhari Aalim Arabic College	الكلية العربية البخارية ٢٠٠٠ ١
Crescent Deemed University	جامعة الهلال ٢٠٠٩

تعليم اللغة العربية في المعاهد المذكورة

تُعلّم اللغة العربية في المدارس الثانوية المتوسطة في معاهد الهلال (بي.يس. عبد الرحمن) التي بها كليات للدراسات الإسلامية أو أقسام للغة العربية والدراسات الإسلامية، أما في المدارس الابتدائية لمدة ثلاث سنوات (من الصف الخامس إلى الصف السابع) فلا تُعلّم فيها العربية بل يُكتفي بتعليم التلاميذ قراءة القرآن وأمور الدين، ولا شك في أن النشئ الجديد يستمع إلى كلمات قرآنية وألفاظ عربية، يفهمون معاني

^١ دور المدارس العربية في تامل نادو في ترويج الدراسات العربية والإسلامية (رسالة الدكتوراه لنحوي محي الدين لبيّ) ص. ٤٠٦.

بعضها، ويكتفون بتريديد بعض العبارات العربية في الصلاة وفي الدعاء. وأما المرحلة المتوسطة في مدرسة الهلال ومدتها سنتان، فيدرس التلاميذ فيها العربية بمعدل ست أو سبع حصص أسبوعياً كمادة اختيارية.

وفي المدرسة الثانوية الدينية (البخارية) تعلم العربية كمادة إجبارية أيضاً لمدة ست أو سبع حصص أسبوعياً، ويلتحقون بقسم الدراسات الإسلامية واللغة العربية بجامعة الهلال (بي.يس. عبد الرحمن) أو الجامعات الأخرى بعد إتمام الدراسة في المرحلة المتوسطة. واختيرت مناهج تعليم العربية والدراسات الإسلامية في الكلية البخارية من مناهج الدراسة والمقررات الدراسية للمعاهد اللغوية والدينية في البلاد العربية والأفريقية كجامعة أم القرى، وجامعة السودان، ومعاهد سري لنغا وما إلى ذلك من المعاهد الشهيرة.

جامعة الهلال Crescent University

هي جامعة تكنولوجية معروفة ترقى من كلية الهندسة سنة ٢٠٠٩م. وهي واقعة في بلدة تشناني قرب حديقة الحيوانات، لقد قامت جامعة الهلال - بعدما صارت جامعة - بإجراءات لازمة لتعليم العربية في قسم العربية والدراسات الإسلامية - قسم للبنين، وقسم للبنات-فألزمتهم على جميع طلابها- وطالباتها أيضاً- الذين يدرسون في برنامج البكالوريوس في هذا القسم لمدة ثلاث سنوات، وتمنح المتخرجين والمتخرجات منه شهادة البكالوريوس في العربية والدراسات الإسلامية، كما تقدم الجامعة برامج أخرى لتطوير اللغة العربية وأدائها: برنامج الدبلوم في اللغة العربية كلغة ثانية في مدة سنة واحدة؛ برنامج الماجستير في الدراسات الإسلامية لمدة سنتين؛ برنامج الدكتور في الدراسات الإسلامية والعربية^(١).

وقد تبين من هذا أن لجامعة الهلال دوراً بارزاً في خدمة الدراسات العربية صيانة ونشراً وتأييها، وقد نالت العربية مكانة مرموقة بين شقيقاتها من اللغات العالمية، فاللغة العربية مع شرفها الديني قد صارت عزيزة على المسلمين للحضارة العربية والإسلامية، فمن أجل ذلك، قد فتحت جامعة الهلال أبوابها لأبناء مسلمي هذه المنطقة ليتعلموا لغة القرآن والعلوم الإسلامية، كما أنها قدمت للطلبة المحتاجين المنح الدراسية والمساعدات المالية لنشر هذه اللغة وتعليمها وتطويرها، وأوفد بعضها مبعوثين في البلاد العربية وجامعاتها الإسلامية لكي يواصلوا مسيرة الجهاد في تعليم هذه اللغة المباركة، ونشر الدين الإسلامي في المدارس العربية الإسلامية التي انتشرت في جميع أنحاء المنطقة بعد عودتهم من بلاد العرب والجامعات الإسلامية.

قسم الدراسات الإسلامية واللغة العربية بجامعة الهلال

إن المدارس الإسلامية حصن حصين للأمة الإسلامية البيضاء، ومعقل منيع لإبقاء الثقافة الإسلامية وإثرائها، فهي تواجه تحديات العصر الراهن، وتلي نداء المتطلبات الحاضرة فمنها الكلية العربية البخارية أو بتعبير آخر قسم الدراسات الإسلامية واللغة العربية بجامعة الهلال التي أسسها بي.يس. عبد الرحمن سنة ٢٠٠٠م على مبدأ التوسط والاعتدال والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع وهي واقعة بتشناني قرب حديقة الحيوانات بوندلور. وهي تعتقد أن العلوم الإسلامية علوم حية نامية كما أن منهج الدراسة خاضع لناموس التغيير والتجديد فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزداد فيه ويحذف منه بحسب تطورات العصر وحاجيات المسلمين وأحوالهم.

¹ .Regulations(2009) Curriculum and Syllabus Of School Of Islamic Studies B S Abdurrahman University

فتأسست الجامعة البخارية، وبدأت نشاطاتها التعليمية والتربوية عام ٢٠٠٠م بعد تغيير المنهج القديم الراجح في سائر المدارس العربية في ولاية تاملنادو وإصلاحه إصلاحاً لائقاً، وقد أضاف إلى المقررات الدراسية الدينية المقرّر الدراسي العصري لكي يتعلم الطلبة فيها العلوم الدينية والعصرية معاً، حتى يتخرج كل طالب من هذه الجامعة بعد تكميل خمس سنوات حاملاً معه شهادة العالمية وشهادة بكالوريوس في الإدارة التجارية ويكون له مستقبل واسع لامع في حياته^(١). وقد هدف المؤسس إلى أن تكون هذه الكلية رائدة في مجال نشر العلوم الدينية ممزوجة بالعلوم العصرية الجديدة إلى جميع أنحاء العالم شرقاً وغرباً.

مساهمات قسم الدراسات الإسلامية واللغة العربية بجامعة الهلال في تطوير اللغة العربية

مما لا يخفى على الكتاب والباحثين ما لقسم جامعة الهلال المذكور من إسهامات جبارة، ومجهودات مشكورة في سبيل الحفاظ على العربية وآدابها وصيانة التراث الإسلامي، حيث أنجبت في تاريخها الغابر والحاضر عدداً لا بأس به من الخريجين الماهرين الذين لعبوا دوراً هاماً في إثراء العربية وتطويرها خلال خطبهم ومحاضراتهم، وتقديم مقالات قيمة في المؤتمرات الدولية والوطنية ولا يزالون - وهم في ريعان الشباب - يتعلمون ويعلمون العربية كلغة حيوية راقية نامية، وينشرون آدابها إلى آفاق العالم شرقاً وغرباً.

وفي قسم الدراسات الإسلامية واللغة العربية يوجد مركز للغة العربية، ومكتبة عربية زاخرة بالكتب العربية، وقسم للوسائل التعليمية، وقاعات الاجتماعات للدراسة والمحاضرات، ومنصات للخطابة العربية للدارسين والطلّابين. ويقوم المركز بتدريب معلمي العربية بالتعاون مع الجهات المعنية والمختصة داخل البلاد وخارجها، ويحضر فيها الأساتذة العرب والعلماء البارزون من مختلف أنحاء البلاد وخارجها، ويلقون أمام المدرسين والطلّبة محاضرات قيمة باللغة العربية في عناوين مختلفة لتنشيط المواهب الفاترة تجاه اللغة العربية. وكذلك يعقد هذا القسم ندوات ثقافية ومؤتمرات وطنية ودولية للنهوض بمستوى تعليم اللغة العربية في بلاد الهند لا سيما بجنوب الهند، كما تُصدر الصحيفة الجدارية باللغة العربية كل شهر.

الخاتمة

وبالجملة أن المعهد الأخير من معاهد بي.يس. عبد الرحمن - أعني به قسم الدراسات الإسلامية واللغة العربية بجامعة الهلال - قد لعب دوراً بارزاً في تدريس العربية وتطوير آدابها بالأساليب الحديثة. وهو ملموس من خلال مناهج دروسها التي هي مرتّبة بالتدرّج حتى يستطيع الطالب بها أن ينطق بالعربية بالطلاقة، ويكتب بالعربية الفصحى خلال مدة قصيرة. كما قررت الكلية لهم أن يداوموا ويدربوا على المحاوراة باللغة العربية صباحاً، وباللغة الإنجليزية مساءً، ثم تدرس فيها آداب اللغة العربية القديمة والحديثة نثراً ونظماً من الأساتذة الماهرين كما تدرس القواعد النحوية والبلاغية باستخدام الأساليب المتطورة حيث يكتسب الطالب الملكة اللسانية باللغة العربية بما يعادل مستوى الخريج الجامعي^(٢).

المراجع

١. مجلة الآداب العربية ٢٠١١م، الجامعة المليّة، نيودلهي (عدد خاص) عن تطور اللغة العربية في الهند
٢. دور المدارس العربية في تامل نادو في ترويج الدراسات العربية والإسلامية (رسالة لنحوي معي الدين لبي)

¹ Prospectus of Kilakkarai Bukhari Aalim Arabic College

^٢. راجع للتفصيل إلى Regulations(2009) Curriculum and Syllabus Of School Of Islamic Studies B S.A. University